الفصل الثاني

يَفْعَـــلُ

* دلالـــة يَفْعَـلُ على الماضي.
* دلالـــة يَفْعَـلُ على الحاضـــر.
* دلالـــة يَفْعَـلُ على الاستقبـال.
* دلالـــة يَفْعَـلُ على الزمـن العـام.

obeikandl.com

يفعل مجردة من الأدوات

لقد مر بنا أن هذه الصيغة "لا يعرف وقتها، ما كان منه للحال، وما يكون في الاستقبال"(1). فاذا قلت : (هو يأكل) جاز أن تعني ما هو فيه، وجاز أن يريد : (هو يأكل)، تقول : زيد يأكل، فيصلح أن يكون في حال أكل فيما يستقبل(2).

ونستخلص الآراء النحوية في زمن المضارع : في :

- أن يترجح فيه التعبير عن الحال، اذا تجرد من الأدوات.
- أن يتعين فيه الحال اذا اقترن بـ (الآن) وما في معناها.
- أن ينصرف الى الماضي، أو الاستقبال اذا سبقته أو لحقته احدى الأدوات(3)

وعند دراسة هذه الصيغة (يفعل) في القرآن الكريم، نجد أن زمنها يتوقف أولا وأخيرا على السياق الذي ترد فيه حتى وان كانت مجردة من الأدوات، فإنها تبقى خاضعة للمعنى الذي تقع فيه، أو الايحاء الذي يراد منها تبليغه، فتدل على الماضي تارة، وتدل على الحاضر، والمستقبل كما تدل على الزمن العام في مواقف معينة.

دلالة (يفعل) على الماضي

تدل (يفعل) في السياق على الماضي بفضل قرائن منها :

أولا : عطف مضارع على ماضي لفظا ومعنى من ذلك قوله تعالى : «ألم

---

1 - المقتضب للمبرد 81/4.
2 - المصدر نفسه 275/2.
3 - الصاحبي لابن فارس 186.
4 - انظر الفصل الذي خصصناه لزمن الفعل عند النحاة.

تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة» (الحج 63/22)، فالفعل المضارع (تصبح) تحمل دلالة الماضي على الرغم من أنها تفيد الاستمرار والتجدد. يقول الزمخشري وهو يحلل هذه الدلالة الزمنية : فان قلت : هلا قيل: "فأصبحت" ولم صرف الى لفظ المضارع، قلت لنكتة فيه، وهي افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول : أنعم علي فلان عام كذا، فأروح وأغدوا شاكرا له، ولو قلت : فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع(1) أي أن التعبير بالمضارع أبلغ أثر في تصوير عملية اخضرار الأرض. ولو عبرنا عن هذا المعنى الزمني بلفظ الماضي لأفادت الانقطاع والسكون. ومن ذلك قوله تعالى : «فريقا كذبتم وفريقا تقتلون» (البقرة 87/2). حيث جاء الفعل المضارع (تقتلون) معطوفا على الفعل الماضي (كذبتم)، وقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) الى آخر الاية وقد جاءت تقتلون بلفظ المضارع، لأن الامر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب(2) "فلقد أراد القرآن أن ينقل لنا صورة القتل حية كأنها ترتكب أمام أعيننا، ولم يقصد ذلك في التكذيب لأن التكذيب يحدث مرة واحدة، ولاول وهلة في حين أن القتل يحتاة الى وقت من شأنه أن يتكرر وخاصة اذا كان الامر يتعلق بفريق من الناس لا بشخص واحد"(3).

ومن الشواهد القرآنية التي جاء الفعل المضارع فيها معطوفا على ماض لفظا ومعنى قوله تعالى : «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفر ثم يجعله حطاما» (الزمر21/20). فالافعال (يهيج و (تراه) و (يجعله) صيغت صياغة المضارع، وهي ماضية، لأنها جاءت معطوفة على الفعل الماضي "أنزل" في قوله

---

1 - الكشاف 21/3 وانظر البحر 386/6.

2 - الكشاف 295/1.

3 - الزمن في النحو العربي، كمال بدري 119.

تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ... الى آخر الاية.

ثانيا : مجيء (يفعل) بعد فعل ماض لفظا ومعنى من ذلك قوله تعالى : «وجاء رجل من أقصى الكدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك» (القصص 20/28)

حيث جاء الفعل المضارع يأتمرون في معنى الماضي بعد الفعل الماضي "قال" ، والآية كلها وردت في سياق قصصي بدأ من قوله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ... ومن ذلك قوله تعالى : «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمة من الله» (آل عمران 39/3).

فإن الفعل المضارع "يبشرك" جاء في معنى الماضي لأنه مسبوق بفعل ماض هو قوله تعالى (فنادته) ومما يؤكد مضيه أنه جاء في سياق ذكر أخبار الانبياء والرسل. والآية تخص سيدنا زكريا عليه السلام وهو ما تبينه الآية 38 حيث يقول الله سبحانه وتعالى : «هنالك دعا زكريا ربه قال رب اجعل من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء» فالافعال الماضية (دعا) (قال) (نادى) أحداث وقعت فيما مضى من الزمان لذلك وضعت الفعلين (يصلي) و (يشرك) في موقع الماضي.

ومنه قوله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» (المجادلة 1/ 58)، حيث جاء الفعل المضارع (تجادلك) مسبوقا بالفعل الماضي المركب من (قد) و (سمع) وهو تركيب يجعله النحاة دالا على الماضي القريب من الحاضر لأنه جواب لقولك (لَمّا يفعل(1) وهو لنفي الماضي القريب من الحال أو المستمر الى الحال، والفعل المضارع تجادلك قويب من الحال من وجهين :

---

1 - الكتاب : 223/2/ والصاحبي 64-.

أحدهما : أنه جاء بعد التركيب (قد سمع) وقد بينا موقعه الزمني.

ثانيهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتهما وينزل ذلك فيما يفرج عنها(1).

وجاء في أسباب النزول : قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يارسول الله أبلى شبابي وثبرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكوا اليك. قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الايات(2) والشاهد في هذه الرواية أن الآية نزلت مباشرة بعد شكوى خولة، وأن موقع الفعلين (قد سمع، وتجادلك هو الماضي القريب من الحال.

ومن صيغ (يفعل) الدالة على الماضي القريب فعل (يغشي) في قوله تعالى: «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنه نعاسا يغشى طائفة منكم) (آل عمران 154/3)، والفعل المضارع يغشى جاء بعد فعل ماض غير بعيد هو (أنزل) اذ نزلت هذه الاية بعد غزوة أُحُد فيما يذهب المفسرون حيث ثبت في البخاري من حديث أبي طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ... الى آخر الحديث(3) فيغشى في الآية : فعل مضارع دل على الماضي القريب من الحاضر.

ثالثا : مجيء الفعل المضارع حالا من فاعل لفعل ماض لفظا ومعنى : من ذلك قوله تعالى : «فأتت به قومها تحمله» (مريم 27/19) ومنه قوله تعالى : «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى» (القصص 20/28)، حيث جاء الفعل

---

1 – البحر :232/8 –أسباب النزول للنيسابوري 304.
2 - البحر : 85/3-86.
3 - البحر : 85/3.

المضارع (تحمله) و (يسعى) دالا على الماضي في الآيتين لأن الفعل المضارع جملة حالية فيهما والآيتان وردتا في سياق قصص اخباري.

رابعا : الدلالة على الماضي بقرينة لفظية :

قال الله تعالى : «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل» (البقرة 91/20) والقرينة هي (من قبل) التي دلتنا على أن القتل في هذه الآية قد أنقضى وانقطع أثره. قال أبو حيان وهو يشرح هذه الآية وجاءت (يقتلون) بصورة المضارع والمراد الماضي، اذ المعنى (فلم قتلتم) والدليل على تقدم القتل فيما يرى أبو حيان هو من قبل(1)

قال ابن عطية : وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الاعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا راضين بفعل اسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء(2)، ويبدو أن ابن عطية أراد القول أن الفعل المضارع أقدر من الماضي في هذا المقام بالايحاء بأن هذا الفعل سيستمر أثره الى الوقت الحاضر، هو ما يسميه الأندلسي بحكاية الحال، ومعنى حكاية الحال أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان أو تقدر ذلك الزمان محكيا الآن على ما تلفظ به واستشهد بالاية السابقة(3)، ومنه قوله تعالى : «ان الذين أوتوا العلم من قبله، اذ يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا» حيث جاء الفعل المضارع (يخرون) معبرا عن الزمن الماضي فقد دلت القوينة من قبله على أنه حدث مضى.

وكذلك قوله تعالى : «فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك» (يونس /94 10).

---

1 - البحر : 307/1.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر النص في الزمن في النحو العربي : كمال ابراهيم بدري 190.

وقوله تعالى : «وما أرسلناك من قبلك من رَسُول الاَّ يُوحَى إليه» (الانبياء 25/21)، ومن ذلك قوله تعالى : «وما أرسلنا من قبلك من رسل الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» (الفرقان 20/25).

فان الفعل المضارع (يأكلون) انصرف الى الماضي بفضل القرينة اللفظية من قبلك.

ومن القرائن التي تقلب معنى المضارع الى الماضي هو (يوم) في نحو قوله تعالى : «يَوم سَبْتِهِم شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُون لاَ تأتيهم» (الأعراف 163/7) وهدا اليم الذي صرف الفعل المضارع (يسبتون) الى معنى الماضي كان يوم تعظيم من بني اسرائيل بألاَّ يشتغلوت فيه (يوم السبت) بغير العبادة(1)، ومن ذلك القرائن أيضا مجيء الفعل المضارع بعد اذ الفجائية في سياق أحداث ماضية من ذلك قوله تعالى : «فاذا حبا لهم وعصيّهم يُخَيَّلُ اليه من سحرهم أنها تسعى» (طه 66/39) فالفعل المضارع (يخيل) ماض حسب سياق الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : قالوا يا موسى اما أن تلقى وأما أن نكون أول من ألقى» (65/39). أما أن اذا الفجائية تقلب المضارع للماضي فلأن تقدير الجملة التي بعدها هو (ففجأ موسى وقت تخييل بسعي حبالهم وعصيهم)(2)، ومن الأفعال المضارعة التي جاءت بمعنى الماضي بعد اذا الفجائية قوله تعالى : «ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون» (الروم 25/30).

ومنها قوله تعالى : «فألقاها فاذا هي جبة تسعى» (طه 20/20).

دلالة يفعل على الحاضر

وانما تدل عليه بقرائن لفظية أو معنوية، ترد أو تدرك في السياق القرآنـي،

1 - الكشاف : 125/2.
2 - المصدر نفسه 544/2.

من ذلك قوله تعالى على لسان أحد رفيقي سيدنا يوسف عليه السلام في السجن (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه» (يوسف /36 12). فالآية تنقل صورة المنام الماضية الى الواقع الحاضر وتأتي الدلالة على الحاضر من القرائن التالية : (اني أرى أحمل) مجردة من كل الأدوات فإن تدل علي الحضور وتثبيت الزمن، ثم جملة (تأكل الطير منه) فهي استحضار مستمر لوقائع المنام، وقد جاءت هذه الجملة معطوفة على آية سابقة مماثلة لها في التركيب والبعد الزمني هي (قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا))يوسف 35/12)(1).

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف : (لا تثرب عليكم اليوم يغفر الله لكم) (يوسف 92/12). وتتوقف الدلالة الزمنية للفعل بغفر الله لكم على شرح المفسرين لهذه الاية وتوجيههم لها كما تتوقف على نظام الوقف الذي اعتمده المفسرون فيها.

فالزمخشري يجعل (اليوم) تتعلق بالتثريب ويقف بالآية عند اليوم، أي لا تثريب عليكم اليوم. والمعنى عنده لا أثَرِّبكم اليوم (وهو اليوم الذي مظنه التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام» ثم تستأنف الآية بقوله تعالى : «يغفر الله لكم وهو يعتمد في ذلك على رواية من روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لقريش ما تروننني فاعلا بكم، قالوا نظن خيرا أخ كريم. فقال : أقول ما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم.

وجلي أن هذا التفسير يجعل الفعل يغفر دالا على غير الحاضر، اذ يجعل (يغفر) مطلقة، يمكن أن تدل على المستقبل البعيد أو القريب.

أما أبو حيان فلا يجوز عنده، أن يتعلق (اليوم) بالتثريب لأن التريث مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله "عليكم" أما التقدير الثانـي فانـه

1 - تنظر شرح الآية في الكشاف للزمخشري 319/2-320.

يجعل "يغفر" خالصا للوقت الحاضر على ارادة البشارة بعاجل غفران الله، فيكون المعنى، أبشركم اليوم بدعوتي لكم أرحم الرحماء بالمغفرة(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك» (النمل 40/27).

وقوله عز وجل : «وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك» (النمل 41/27). حيث جاء الفعل المضارع "آتى" دالا على الحاضر وهدا على اعتبار أن هذا الفعل مضارع لا اسم فاعل كما جوز بعض المفسرين.

قال الزمخشري :

"وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل"

ولا غرو في أن الزمن المراد به "آتى" هو الحال والساعة. فلقد فسروا قوله تعالى قبل أن يرتد اليك طرفك بـ "أنك ترسل طرفك الى شيئ فقبل أن ترتد ابصرت العرش بين يديك"(2).

وبما أن ارتداد الطرف أقصر في المدة من المدة التي حددها العفريت (الذي قال أنا آتيك بـــه

قبل أن تقوم من مقامك). فقد روى أن سيدنا سليمان رضي الله عنه قال : (أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت)(3).

فالفعل المضارع " آتى" دال على الزمن الحاضر وحده لا ينصرف الى غيره. ومنه قوله تعالى : «وألا تعلوا على الله أني آتيكم بسلطان مبيـــن»(الدخـان

1 - انظر الكشاف 342/2-343 والبحر 344,343,342/5.
2 - الكشاف 149,148/3.
3 - البحر 77,76/7.

.(19/44

فالفعل آتى للحاضر في هذه الآية كذلك، فقد جاء بعد (إن) الدالة غالبا على استقرار الزمان وثبوته كما جاء في سياق يوحى بالحالية.

اذ معنى الاية ولا تعلوا على الله من أجل أني آتيكم (الآن) بسلطان مبين(1)

ومنه قوله تعالى : «فمنهم من قضى نخبة ومنهم من ينتظر» (الاحزاب 23/33) والفعل المضارع ينتظر جاء دالا على الزمن الحاضر والحال لان معنى الآية، منهم من قضى نحبه ومنهم من هو في حالة انتظار بدليل أن الجملة التي تلي الفعل هي جملة حالية وهي قوله تعالى : «وما بدلو تبديلا» (أي ما بدلوا العهد ولا غيره، لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة(2).

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «اني أخلق لكم من الطين كهيئة طيرا»(آل عمران 49/3). فالفعل المضارع (أخلق) للزمن الحاضر وهو حاضر من عدة وجوه : أنه جاء بعد "إني" في قوله تعالى :اني أخلق لكم. على قراءة من قرأ بالكسر على الاستئناف.

ولأنه لم تقترن به أداة تصرفه عن الحاضر.

انه جاء في سياق حكاية في قوله تعالى : «ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل، اني قد جئتكم بآية من ربكم» والمعنى : اني الان قادر على أن قدر لكم مثل صورة الطير(3).

وقد ظن الاستاذ حامد عبدالقادر أنه قوله تعـالى "تخلق" و "تنفتح" و "تخرج"

---

1 - الكشاف 149,148/3.
2 - المصدر نفسه 257/3.
3 - نفس المصدر السابق 431/1.

أفعال تختص بالماضي فقط لانها مسبوقة بـ (اذ)(1) ولم ينتبه الاستاذ الى أن (اذ) هذه تدل المستقبل والحاضر. فمن المستقبل قوله تعالى : «ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول» وقوله تعالى : «اذ يقول المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غروا»(الاحزاب 12/33).

أما "اذا" هنا فهي للحاضر، لأن الخطاب موجه الى سيدنا عيسى عليه السلام وهو على قيد الحياة، وقدرته على خلق الطير. كانت معه أثناء الخطاب. والدليل على ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «أني قد جئتكم بآية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طير باذن الله» (آل عمران 49/3).

ومن أمثلة المضارع الدالة على الحاضر في القرآن الكريم «مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» (النمل 20/27).

«يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحي» (مريم 7/19).

«وأنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» (النمل 6/27).

دلالة (يفعل) على الأزمنة العامة

وهذا عندما يأتي في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص ولكنه يحدث في كل زمان، أو عندما يدل على تقليد سارت عليه طائفة من البشر، أو أمة من الأمم، على نحو ما سنرى في النصوص القرآنية التالية :

فمن ذلك قوله تعالى : «ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين» (البقرة 8/2).

فـ "يقول" هنا ليس لها زمن محدد، لان قولا من هذا القبيل يصدر عن

---

2 - معاني المضارع في القرآن الكريم مجلة مجمع اللغة العربية ص1958/10/152.

الناس في كل زمان. ولان التعبير" من الناس" يدل على أن صنف من البشر اتصف وسيل بهذه الصفة، فقد نزلت هذه السورة في المنافقين. ومن يقول "صفة كأنه قيل : ومن الناس ناس يقولون"(1).

ومن قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام «قال إنكم قوم تجهلون» فقد جاء الفعل المضارع "تجهلون" في سياق الاية : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون»(الاعراف 138/7) اذ يبدو في هذا السياق أن "تجهلون" دلت على زمن عام يستغرق الأزمنة الثلاثة الماضية، والحاضرة والمستقبلة، قال أبو حيان "وأتى بلفظ تجهلون، ولم يقل (جهلتم) اشعارا بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة، ولا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل"(2). ومنه قوله تعالى : «ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها» (البقرة 62/2). وقد نزلت هذه الآية في اليهود عندما قالوا أن الله أعظم وأعلى من أن يمثل بالذباب والحجارة والعنكبوت، فالفعل يستحي فعل مضارع جاء دالا على الزمن العام اذ أنه فعل مسند الى الله سبحانه وتعالى : ومعناه ان الله لم يستحي ولن يستحي أن يضرب مثلا. وقد ذهب معظم المفسرين أن معنى الاستحياء هو الترك، قالوا وعبر بالاستحياء، لأن الترك من ثمرات الحياء، وهذه كلها معاني تصحيح بالأزلية لأنها منسوبة الى الله سبحانه وتعالى(3).

ومن ذلك قوله تعالى : «ان الله وملائكته يصلون على النبي ي أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» (الاحزاب 65/23). حيث يفهم من سياق الآية ومن جملة ما قاله المفسرون أن "يصلون" للزمن العام الممتد من الماضي

---

1 - الكشاف : 166/1.

2 - البحر لابي حيان 378/4.

3 - انظر أسباب النزول ،معاني القرآن الفراء 20/1-22 والبحر 119/1-125.

السحيق الى المستقبل البعيد.

ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية، فقال : لولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، ان الله وكل ملكين، فلا اذكر عند كل مسلم، فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان : غفر الله له، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك آمين(1). فهذه الرواية تبين أن الفعل "يصلون" لا يتحدد في زمن معين وانما هو يحدث في كل زمان.

ومنه قوله تعالى : «هو الذي يصلي عليكم وملائكته» (الاحزاب 43/33).

حيث يستغرق الفعل "يصلي" المسند الى الله عز وجل على استغراق جميع الزمنة فهو من الافعال التي يمكن أن يقال عنها "أفعال أزلية ومنه قوله تعالى : «ان الله يدافع عن الذين آمنوا» (الحج 38/22)، فالفعل المضارع "يدافع" غير مختص لزمن معين لأنه جاء في سياق وعد من الله عز وجل بأن يدفع الظلم عن الذين آمنوا في كل زمان(2).

قال الزمخشري : وقد خص المؤمنين لدفعه عنهم، ونصرته لهم كما قال «أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا» (غافر 51/40)، وقال «انهم لهم المنصورون» (الصافات 172/37).

وقد استحسن المفسرون قراءة من قرأ "يدافع" لأنه قد عنّ للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم، فتجيء مقاومته، ودفعه مدافعة عنهم» (3) ثم ان معنى يدافع (يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه)(4).

وكذلك قوله تعالى : «أولم يروا الى الطير فوقهم صافـــات ويقبضن مـــا

1 - الكشاف 272/3-273.
2 - البحر 237/7.
3 - البحر : 373/6.
4 - انظر الكشاف : 15/3.

يمسكهن الا الرحمن» (الملك 19/67). فالفعل (يقبض) مضارع دال على الزمن العام الممتد من الماضي الى المستقبل، لأن صفة الطيران ملازمة للطير أبدا منذ أن كانت، وقد جاء القبض بصيغة المضارع ليعطي هذه الدلالة الزمنية الخاصة للقبض الذي هو حركة مستمرة أبدا، على عكس صف الاجنحة الذي هو صفة ثابتة. قال المفسرون : فان قيل : لم قال ويقبض، ولم يقل (وقابضات) قلنا : لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة، مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارىء على البسط للاستظهار على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصلي للفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون، منهمن القبض تارة، بعد تارة كما يكون من السابح(1).

ومنه قوله تعالى «يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس» (الجمعة7/62). حيث دلّ (يسبّح) على جميع الأزمنة، لأن التسبيح لله سبحانه وتعالى وهو ديدن جميع ما على هذه الأرض منذ أن كانت تهمل فقد قال الله سبحانه وتعالى «فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحرن له بالليل والنهار» (فصلت 38/41).

وقال عزّ وجل «وان من شيء الاّ يسبّح بحمده» (الاسراء 44/17).

قال الرازي : ولا ملك أعظم من هذا، وهو أنه خالقهم ومالكهم وكلهم في قبضة قدرته وتحت تصرفه يسبحون له أثناء الليل وأطراف النهار بل في سائر الأزمان(2).

ومنه كذلك قوله تعالى : «يُدبّر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فليس هناك مدى زمني محدد للفعلين (يدبّر) و (يعرج)، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية (يدبر أمر الدنيا كلّها

1 – انظر الكشاف 138/4، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي 71/30.
2 - نفسه : 20/30.

من السماء الى الأرض لكل يوم من أيام الله، وهو ألف سنة (وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)، ويعرج اليه : يصير اليه، ويثبت عنده، ويكتب عند ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة .... الى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضا ليوم آخر، وهلم جرا ... الى أن تقوم الساعة(1).

ومن أمثلة يفعل الدالة على الزمن العام الذي يشمل الماضي والحاضر والمستقبل قوله تعالى : «كذلك يضرب الله الحق والباطل» (الرعد 8/13).

وقوله تعالى «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» (فاطر 13/35).

ومنه قوله تعالى : «ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يزلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله» (43/24).

«الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» (الرعد 26/13).

«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه» (النمل 69/16).

«انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» (التوبة 18/9)

«ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» (العنكبوت 45/29).

«مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيّان» (الرحمن 19/55).

«ما يبدل القول لدي وما أنا بظلاّم للعبيد» (ق 29/50).

«يكور الليل في النهار ويكور النهار على الليل» (الزمر 5/39).

«انما يستجيب الذين يسمعون» (الانعام 36/6).

«انما يتذكر أولوا الألباب» (الزمر9/39).

---

1 - الكشاف : 24/3.

دلالة يفعل على الاستقبال

يستند (يفعل) في القرآن الكريم على القرائن للدلالة على الاستقبال وهي قرائن تجعل الفعل يساير اتجاه الزمن في السياق القرآني لذلك لم يستطع النحاة الوقوف عندها أو تحديدها. وجاء المفسرون فأومأوا اليها عرضًا وهم يشرحون الايات، فمن ذلك أن يكون (فاعل يفعل) مصدرا مؤلا من (أن) (ويفعل) وذلك في مثل قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام «اني ليحزنني أن تذهبوا به» (يوسف 13/12).

اذ دل الفعل (يحزنني) على مستقبل قريب، لأن ذهابهم بسيدنا يوسف ومفارقته اياه أمران لم يكونا قد حدثا بعد وذلك ينصرف الفعل الى الاستقبال بفضل هذا الفاعل المركب من ٠أن) الدالة على الاستقبال أبدا، و (تذهب) التي تحولت الى الاستقبال أيضا بفضل (أن)(1) وكما كان الفاعل المصدر الأول سببا في صرف (يفعل) الى الاستقبال، فإن المفعول المكون من المصدر الأول الموالي لـ (يفعل) من القرائن الدالة على صرف (يفعل) الى الاستقبال من ذلك قوله تعالى : «قالوا نريد أن نأكل منها» (المائدة 113/5)، وهي استقبال قريب لأنها في سياق تمنّ ورجاء في أن تنزل المائدة فيما يستقبل من الزمن القريب.

قال الرازي وهو يشرح هذه الاية (انا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاما آخر. وثانيها، وان علمنا قدرة الله تعالى بالدليل. ولكن اذا شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين والعرفان...)(2) الى آخر شرحه للآية وهو تفسير يبين أن الفعل (نريد) ينصرف الي المستقبل القريب فقط. ومن بين تلك القرائن (يوم) التي غالبا ما تأتي في القرآن للدلالة على قيام الساعة

1 - انظر شرح الآية في الكشاف 306/2.
2 - التفسير الكبير للفخر الرازي 130/12.

لذلك نصرف الفعل المضارع الى المستقبل البعيد. وهذا في ايات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : «يوم تأتي بعض ايات ربك، لاينفع نفسا ايمانها »(الانعام 158/6) أي تأتي بعض آيات ربك، وهو استقبال بعيد انصرف اليه الفعل المضارع (يأتي) بفضل القرينة اللفظية (يوم).

قال الزمخشري وهو يشرح الآية : (يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة(1).

وكذلك قوله تعالى : «يوم يجمع اللّهُ الرُّسلَ فيقول ماذا أُجبتم» (المائدة 109/5).

"فيجمع" لا يمكن الا أن تكون للاستقبال لأن اليوم المراد الذي تصدَّر الجملة هو (اليوم) يوم القيامة لان جملة يوم يجمع... (ظرف لقوله لا يهدي، أي لا يهديهم طريق الجنة كما يفعل بغيرهم(2) ومنه قوله تعالى : «الله يحكم بينكم يوم القيامة» (النساء 141/4) حيث ينصرف الفعل يحكم في الآية الى المستقبل البعيد بفضل القرينة التي تلت الفعل وهي يوم القيامة ومنه قوله تعالى : «قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور»(الانعام73/6). فـ (ينفخ) للاستقبال بقرينة (يوم) والمراد بها الساعة وهذا ما يوضحه الزمخشري حيث يقول : (يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله : لمن الملك اليوم (قال كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق(3) أنما قوله تعالى «قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» (المائدة 119/5).

فان الفعل "ينفع" في الآية يتأرجح زمنه بين المستقبل والمستقبل البعيد عند المفسرين، لأنهم اختلفوا في تحديد اليوم المراد، هل هو في الدنيـــا، أو هو فـي

1 - الكشاف 63/2.
2 - المصدر نفسه 652/1.
3 - نفسه 29/2.

الآخرة أو هو زمن مستمر في الأزل، قال الزمخشري : فان قلت : ما معنى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم أن أريد صدقهم في الآخرة، فليست الآخرة بدار عمل، وأن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد، لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق والرأي عند الزمخشري أن يكون معناه : الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم...) الى أخر الآراء التي عرضها الزمخشري(1) فيكون الفعل "ينفع" دالا على الزمن العام عند الزمخشري وعلى المستقبل القريب والبعيد عند الآخرين ولكن الرازي يجعل "اليوم" يوم القيامة والمعنى عنده : أن صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيامة ودليله في ذلك أن صدق الكفار في القيامة لا ينفعهم(2).

ومن الأمثلة القرآنية التي جاء فيهايفعل مقرونة بـ(يومدالة على الاستقبال الآيات التالية:

«يوم نحشرهم جميعا ثم يقول للذين أشركوا أين شركاؤكم» (الانعام 22/6).

«فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا» (الاعراف 51/7).

«اليوم تجزون عذاب الهون» (الانعام 93/6).

«ألا يوم نأتيهم ليس مصروفا عنهم» (هود 8/11).

«يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار» (هود 98/11).

«ربي اغفر لي ولوالدي يوم يقوم الحساب» (ابراهيم 41/14).

«يوم تُبَدَّل الأرض غَيْرَ الأرض والسَّماوات» (ابراهيم 48/14).

«قال ربِّ فانظرني الى يوم يبعثون» (الحجرات 36/15).

---

1 - نفسه : 658/1.

2 - التفسير الكبير لفخر الدين الرازي 137/12.

كما تدل (يفعل) على الاستقبال بفضل قرائن تصاحب الفعل أو بفضل السياق الذي يرد فيه الفعل.

من ذلك : الفعل (ترى) في قوله تعالى : «ترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ولكنّ عذاب اللّه شديدٌ» (الحج 2/22) حيث جاء الفعل ضمن حديث عن مشاهد القيامة، وذلك في قوله تعالى : «يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها... وترى الناس» (الحج 2,1/22). ومن ذلك (ينادونهم) في قوله تعالى «ينادونهم ألم نكن معكم» (الحديد 14/57) حيث ينصرف الفعل (ينادون) الى الاستقبال البعيد، وأما أنه استقبال بعيد، فلأن الآية تتحدث عن حوار سيتم يوم القيامة. وهذا ضمن السياق الذي جاء في الآيات التالية :

«يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكنّ معكم» (الحديد 14,13,12/57).

ومن ذلك قوله تعالى : «فيقول الذين ظلموا ربنا أخِّرْنا الى أجل قويب نجب دعوتك ونتبع الرسل» (ابراهيم 40/41)

اذا جاء الفعل "يقول" مصروفا الى الاستقبال بفعل السياق الذي ورد فيه فقد جاءت هذه الاية بعد قوله تعالى : «وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب» لأن اليوم في الآية هو يوم القيامة على أكثر الأقوال(1) فقد قالوا ان هذا القول يكون منهم يوم القيامة وهم في النار ويرد عليهم : أو لم تكونوا أقسمتم من قبل(2).

---

1 - البحر 436/5.

2 - نفسه.

وقد تدل "يفعل" على نوع آخر من المستقبل وهو ما يمكن أن نسميه بمستقبل الماضي وذلك في مثل قوله تعالى : «قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»(البقرة30/2) وقد جاءت هذه الاية بعد قوله تعالى : واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، اذ تبين هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت مشيئته أن يجعل خليفة فيما يستقبل من ذلك الزمن لأن اسم الفاعل في قوله تعالى : جاعل يدل غالبا علي الاستقبال(1) والجملتان الفعليتان "قالوا" أتجعل فيها تركيب مكون من "قال" الدالة على الماضي لفظا ومعنى.

"تجعل" الدالة على الاستقبال حسب السياق الذي وردت فيه الآية وبذلك تكون الدلالة الزمنية للفعل (يجعل) هي الاستقبال بالنسبة للفعل الماضي (قال) والشكل التالي يوضح الدلالة الزمنية لهذا الفعل :

الماضي البعيد	الماضي القريب	الحاضر	المستقبل
1- قالوا	أتجعل فيها (مستقبل بالنسبة لقالوا).		

حيث يلاحظ أن زمن مستقبل الماضي ينطلق من نهاية الماضي الأبعد ويمكن أن يمتد الى مستقبلنا نحن.

ومنه قوله تعالى : «وكذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون»(البقرة73/2)، حيث نجد الفعل (يُحيى) دالا على مستقبل الماضي. والماضي هو قوله (واذ قلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى). فالآية جاءت في سياق

1 - الكشاف 271/1.

قصصي إخباري ولكن الفعل (يحيى) دال على استقبال ينطلق من ذلك الزمن الماضي الى ما يستقبل من زماننا نحن. قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية (كذلك يحيى الله الموتى) أما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمجيء وقلنا لهم : كذلكيحيى الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء(1) وعلى هذا التفسير يمكن أن يمتد من الماضي الى المستقبل البعيد، ومثله قوله تعالى : «أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا»(البقرة133/2). فقد جاءت (يعبد) دالة على الاستقبال بالنسبة للأحداث الماضية المذكورة في القرآن. أما أنها استقبال فلأن القرينة التي جاءت بعد الفعل توضح ذلك وهي (من بعدي) أي من بعد وفاتي، مما يدل على أن زمن تعبدون يمتد الى مستقبل تلك الأحداث الماضية في قوله تعالى (واذ حضر) و (قال).

1 - الكشاف : 289/1.

ولقد تابعنا الدلالة الزمنية لـ : (يفعل)(1) في سور من القرآن الكريم وقمنا برصدها واحصائها من أجل تحليل النتائج المحصل عليها في هذه السور.

السورة	مجموع صيغ يفعل	يفعل الدالة على الماضي	يفعل الدالة على الحاضر	يفعل الدالة على المستقبل	يفعل الدالة على مستقبل الماضي	يفعل الدالة على الزمن العام
البقرة	77	15	03	03	03	53
التوبة	33	00	00	03	00	30
الأعراف	26	00	00	03	01	22
الحاقة	04	01	01	02	00	00

1 - نقتصر هنا على دراسة (يفعل) المجردة من أدوات النصب والجزم والاستفهام، وكذلك النواسخ التي لها تأثير على دلالتها الزمنية وانما فعلنا ذلك لأننا سندرس (يفعل) مركبة مع هذه الأدوات في باب خاص.

obeikandl.com

ومن خلال هذا الجدول نجد أن الدلالة الزمنية لـ : (يفعل) تتوزع في السور المدروسة بالنسب المئوية التي يبينها الجدول التالي :

الزمـــن	السـورة	النسبـة المأويـة
الماضـــي	البقرة	19,50 ٪ تقريبا
الحاضـــر		03,90 ٪ تقريبا
المستقبـــل		03,90 ٪ تقريبا
مستقبل الماضـــي		03,90 ٪ تقريبا
الزمـــن العـــام		68,83 ٪ تقريبا
الماضـــي	آل عمران	صفـــر ٪
الحاضـــر		صفـــر ٪
المستقبـــل		09,09 ٪ تقريبا
مستقبل الماضـــي		صفـــر ٪
الزمـــن العـــام		90,09 ٪ تقريبا
الماضـــي	النساء	صفـــر ٪
الحاضـــر		صفـــر ٪
المستقبـــل		11,50 تقريبا
مستقبل الماضـــي		03,8 تقريبا
الزمـــن العـــام		84,6 تقريبا
الماضـــي	المائدة	٪ 25
الحاضـــر		٪ 25
المستقبـــل		٪ 50
مستقبل الماضـــي		صفـــر ٪
الزمـــن العـــام		صفـــر ٪

وعند تحليل الأرقام التي تضمنها الجدولان السابقان نجد أن (يفعل) -وهي مجردة- تملك طاقة تعبيرية كبرى عن الزمن اذ استطاعت أن تسع الأزمنة المختلفة : الماضي، الحاضر، المستقبل، مستقبل الماضي، الزمن العام.

وأن الزمن العام هو الدلالة الغالبة الملازمة لهذه الصيغة في القرآن الكريم (حسب ما تبينه نتائج السور المدروسة) لأن (يفعل) غالبا ما تأتي كالصفة الملازمة للذات لها زمن محدد وذلك في مثل قوله تعالى : (الذين يؤمنون) وقوله (الذين يأكلون) وقوله تعالى يخادعون الله) (يولج الليل في النهار... الخ.

وأن الدلالة على المستقبل البعيد انما تتعاظم في السور التي تعرض مشاهد القيامة، اذ نجد أن نسبة (يفعل) الدالة على المستقبل البعيد قد بلغت في سورة الحاقة (القيامة خمسين في المئة.

وأن الدلالة على الماضي، ومستقبل الماضي يفعل ورودها في هذه النماذج مما يجعلنا نستنتج أن (يفعل) انما جاءت في الأصل للدلالة على غير الماضي، لذلك جعلها النحاة مشتركة بين الحاضر والمستقبل مثلما جعلوا (فعل) خالصة للماضي على سبيل الأصل والتغليب.